

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْتُذْرَ ﴾ فَقَوْلٌ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿

قوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ﴿ اقْتَرَبَتْ ﴾ أي قربت مثل: ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧] على ما بيناه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: «ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما مضى» ^(١) وما نرى من الشمس إلا يسيرا. وقال كعب ووهب: الدنيا ستة آلاف سنة ^(٢). قال وهب: قد مضى منها خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ^(٣). ذكره النحاس.

قوله تعالى: ﴿ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ أي وقد انشق القمر. وكذا قرأ حذيفة « اقتربت الساعة وقد انشق القمر » بزيادة « قد » وعلى هذا الجمهور من العلماء؛ ثبت ذلك في «صحيح البخاري» وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم. وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ يقول ذاهب قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ^(٤). ولفظ البخاري عن أنس قال: انشق القمر فرقتين ^(٥). وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر؛ أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر؛ وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه؛ لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة

(١) ضعيف: الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣١١)، وعزاه للبخاري وفيه: خلف بن موسى، عن أبيه وقد وثق، وبقيته رجاله رجال الصحيح، وضعفه ابن كثير لتفرد خلف بن موسى بن خلف العمى به، عن أبيه كما في تفسيره (٣٦١ / ٧).

(٢، ٣) سبق أنه من الإسرائيليات.

(٤) متفق عليه: البخاري (٤٨٦٧) في التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) في صفات المنافقين وأحكامهم.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٨٦٨) في التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) في صفات المنافقين وأحكامهم.

الثانية. وقيل: ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وضح الأمر وظهر؛ والعرب تضرب بالقمر مثلاً فيما وضح؛ قال:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطْيَكُمُ فَإِنِّي إِلَى حَيِّ سَوَاكُم لَأَمِيلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقَمِّرُ وَشَدَّتْ لَطِيبَاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فلما؛ لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة:

فَلَمَّا أَدْبَرُوا وَلَهُمْ دَوِيٌّ دَعَانَا عِنْدَ شَقِّ الصُّبْحِ دَاعٍ

قلت: وقد ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنها كانت آية ليلية؛ وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي. فروي أن حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضباً من سب أبي جهل الرسول ﷺ طلب أن يريه آية يزداد بها يقيناً في إيمانه. وقد تقدم في الصحيح أن أهل مكة هم الذين سألوا وطلبوا أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فلقين كما في حديث ابن مسعود ^(١) وغيره. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ ^(٢). وقد قيل: هو على التقديم والتأخير، وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة؛ قاله ابن كيسان. وقد مر عن الفراء أن الفعلين إذا كانا متقاربي المعنى فلك أن تقدم وتؤخر عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا﴾ هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن كنت صادقاً فاشق لنا القمر فرقتين: نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقان؛ فقال لهم رسول الله ﷺ «إن فعلت تؤمنون» قالوا: نعم؛ وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ أن يعطيه ما قالوا؛ فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين: «يا فلان يا فلان اشهدوا» ^(٣). وفي حديث ابن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا من سحر ابن أبي كبشة؛ سحرهم فاسألوا السفار؛ فسألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشق فنزلت ^(٤) ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ وإن يروا آية يعرضوا؛ أي إن يروا آية تدل على صدق محمد ﷺ أعرضوا عن الإيمان ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي ذاهب؛ من قولهم: مر الشيء واستمر إذا ذهب؛ قاله أنس وقتادة ومجاهد ^(٥) والفراء والكسائي وأبو عبيدة، واختاره النحاس. وقال أبو العالية والضحاك: محكم قوي شديد ^(٦)، وهو من المرة وهي القوة؛ كما قال لقيط:

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّ مَرِيرَتِهِ مَرُّ الْعَرِجَةِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعًا

(١) متفق عليه: البخاري في التفسير (٤٨٦٤، ٤٨٦٥)، ومسلم (٢٤٠ / ٤٤، ٤٥) في صفات المنافقين وأحكامهم.

(٢) ضعيف يحتمل التحسين: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط: الطبري (٩١ / ٢٧) في تفسيره.

(٣) ضعيف: السيوطي في الدر (١٧٧ / ٦) وعزاه لأبي نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك، وضعفه الحافظ ابن حجر (١٨٢ / ٧) في الفتح.

قلت وذكر بدر غريب هنا.

(٤) صحيح: الطبري في تفسيره (٩٠ / ٢٧)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٦٤ / ٧).

(٥) صحيح إلى قتادة ومجاهد: السابق (٩٠ / ٢٧).

(٦) نظر: البغوي في تفسيره (٤٢٦ / ٧).

وقال الأخفش: هو مأخوذ من إمرار الحبل وهو شدة قتله. وقيل: معناه مر من المارة. يقال: أمر الشيء صار مرا، وكذلك مر الشيء يمر بالفتح مرارة فهو مر، وأمره غيره ومره. وقال الربيع: مستمر نافذ. يمان: ماضٍ. أبو عبيدة: باطل. وقيل: دائم. قال: وليس على شيء قويم بمُستمر

أي بدائم. وقيل: يشبه بعضه بعضا؛ أي قد استمرت أفعال محمد على هذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيقة بل الجميع تخيلات. وقيل: معناه قد مر من الأرض إلى السماء. ﴿وَكَذَّبُوا﴾ نبينا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي ضلالاتهم واختياراتهم. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقرأ شيبه «مُسْتَقَرٌّ» بفتح القاف؛ أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتأخر. وقد روي عن أبي جعفر بن القعقاع: «وكل أمر مُسْتَقَرٌّ» بكسر القاف والراء ^(١) جعله نعتا لـ ﴿أَمْرٍ﴾ و﴿كُلِّ﴾ على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مستقر في أم الكتاب كائن. ويجوز أن يرتفع بالعطف على الساعة؛ المعنى: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر؛ أي اقترب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبرا عن ﴿كُلِّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي من بعض الأنبياء؛ فذكر سبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما اقتصر علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أي جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية: ﴿مَا فِيهِ مُذَجَّرٌ﴾ أي ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه. وأصله مزجر فقلت التاء دالا؛ لأن التاء حرف مهموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالا لتوافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر. و﴿مُذَجَّرٌ﴾ من الزجر وهو الإنهاء، يقال: زجره وأزجره فأنزجره وأزذجره، وزجرته أنا فانزجر أي كففته فكف، كما قال:

فأصبح ما يطلب الغانيا ت مُذَجَّرًا عن هواه ازدجارًا

وقرى: «مُزَجَّر» بقلب تاء الانفعال زايًا وإدغام الزاي فيها؛ حكاه الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةً بِالْقَوْلِ﴾ يعني القرآن وهو يدل من ﴿مَا﴾ من قوله: ﴿مَا فِيهِ مُذَجَّرٌ﴾ ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ أي هو حكمة. ﴿فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ﴾ إذا كذبوا وخالفوا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] ف﴿مَا﴾ نفي أي ليست تعني عنهم النذر. ويجوز أن يكون استفهاما بمعنى التوبيخ؛ أي فأى شيء تعني، النذر عنهم وهم معرضون عنها و﴿النَّذْرُ﴾ يجوز أن تكون بمعنى الإنذار، ويجوز أن تكون جمع نذير. قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم. قيل: هذا منسوخ بآية السيف ^(٢). وقيل: هو تمام الكلام. ثم قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أو ﴿خُشْعًا﴾ أو فعل مضمَر تقديره واذكر يوم. وقيل: على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الأمر، تقديره: فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تول عنهم يا محمد فقد أقمت الحجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل:

(١) قراءة متواترة: تقرب النشر (ص ١٧٧).

(٢) لا يصح النسخ لعدم وجود تعارض بينهما.

أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكَرٍ﴾ وينالهم عذاب شديد. وهو كما تقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي وكل أمر مستقر يوم يدعوا الداعي. وقرأ ابن كثير «نُكِرَ» بإسكان الكاف (١)، وضمها الباقون وهما لغتان كَعَسَرُ وَعَسُرُ وشُغِلَ وشُغْلٌ، ومعناه الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل عليه السلام. وقد روي عن مجاهد وقتادة أنهما قرآ: ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكَرٍ﴾ بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول. ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ الخشوع في البصر الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز والذل يتبين في ناظر الإنسان؛ قال الله تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩]، وقال تعالى: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]. ويقال: خشع واخشع إذا ذل. وخشع ببصره أي غصه. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو «خَاشِعًا» بالالف (٢) ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد، نحو: «خَاشِعًا أَبْصَارَهُمْ» والتأنيث نحو: «خَاشِعَةً أَبْصَارَهُمْ» [المقدم: ٤٣] ويجوز الجمع نحو ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ قال [الحارث بن دوس الإيادي]:

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجَهُهُمْ
مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍ

و ﴿خُشَعًا﴾ جمع خاشع والنصب فيه على الحال من الهاء والميم في ﴿عَنْهُمْ﴾ فيقبح الوقف على هذا التقدير على ﴿عَنْهُمْ﴾. ويجوز أن يكون حالا من المضمر في ﴿يَخْرُجُونَ﴾ فيوقف على ﴿عَنْهُمْ﴾. وقرئ: «خُشَعُ أَبْصَارِهِمْ» على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال، كقوله: وجده حَاضِرًا الجود والكرم

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور واحدا حدث. ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارة: ٤] فهما صفتان في وقتين مختلفتين: أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فرعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حينئذ كالفرش المبعوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها. الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصده فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها. و﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ معناه مسرعين؛ قاله أبو عبيدة. ومنه قول الشاعر:

بِدَجَلَةٍ دَارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ
بِدَجَلَةٍ مُهْطِعِينَ إِلَى السَّمَاعِ

الضحاك: مقبلين (٣). قتادة: عامدين (٤). ابن عباس: ناظرين (٥). عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت (٦). والمعنى متقارب. يقال: هَطَعَ الرجل يَهْطَعُ هُطُوعًا إذا أقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه؛ وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه. قال الشاعر:

تَعَبَّدَنِي نِمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى
وَنِمْرُ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطِيعٌ وَمُهْطَعٌ

(١) (٢) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١٧٧).

(٣) كذا عند البغوي في تفسيره بلا عذر (٧/ ٤٢٨).

(٤) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٧).

(٥) ضعيف: للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس - رضي الله عنهما. السابق (٢٧/ ٩٧).

(٦) ذكره السيوطي (٦/ ١٧٨) في الدر، وعزاه لعبد بن حميد.

وبعير مُهْطَع: في عنقه تصويب خلقة. وأهبط في عَدْوِهِ أي أسرع. ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسَرٌ﴾ يعني يوم القيامة لما ينالهم فيه من الشدة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ ١٠١ ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ١٠٢ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ١٠٣ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ﴾ ١٠٤ ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾ ١٠٥ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ١٠٦

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ذكر جملاً من وقائع الأمم الماضية تائيساً للنبي ﷺ وتغزية له. ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي قبل قومك. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحاً. الزمخشري: فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَكَذَّبُوا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾؟ قلت: معناه كذبوا فكذبوا عبدنا؛ أي كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا؛ أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأساً كذبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل. وقيل: إنما قال: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ بلفظ ما لم يسم فاعله لأنه رأس آية. ﴿فَدَعَا رَبُّهُ﴾ أي دعا عليهم حيثند نوح فقال: رب ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي غلبوني بتمردهم ﴿فَأَنْتَصِرْ﴾ أي فانتصر لي. وقيل: إن الأنبياء كانوا لا يدعون على قومهم بالهلاك إلا بإذن الله عز وجل لهم فيه. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي فأجبنا دعاءه وأمرناه باتخاذ السفينة وفتحنا أبواب السماء ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي كثير؛ قاله السدي.

قال الشاعر:

أعيني جوداً بالدُموع الهوامر على خير بادٍ من معدٍّ وحاضر

وقيل: إنه المنصب المتدفق.

ومنه قول امرئ القيس يصف غيثاً:

رَاحَ تَمْرِهِ الصَّبَا ثُمَّ انْتَحَى فِيهِ شُؤْبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرٍ

الهمر: الصب؛ وقد همر الماء والدمع يهمر همرًا. وهمر أيضا إذا أكثر. الكلام وأسرع. وهمر

له من ماله أي أعطاه. قال ابن عباس: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر من غير سحاب لم يقلع أربعين يوما (١). وقرأ ابن عامر ويعقوب: «فَفَتَحْنَا» مشددة على التثنية (٢). الباقون «فَفَتَحْنَا» مخففا. ثم قيل: إنه فتح رتاجها وسعة مسالكها. وقيل: إنه المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر؛ قاله علي رضي الله عنه. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ قال عبيد بن عمير: أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون، وإن عينا تأخرت فغضب عليها فجعل ماءها مرا أجاجا إلى

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢) ولم يعزه لابن عباس - رضي الله عنهما - والخبر غير موثق من ناحية الوحي فلا أعلم له إسناداً.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١١٠).

يوم القيامة. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ أي على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر؛ حكاه ابن قتيبة. أي كان ماء السماء والأرض سواء. وقيل: ﴿قَدَرٌ﴾ بمعنى قضي عليهم. قال قتادة: قدر لهم إذا كفروا أن يفرقوا. وقال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء؛ وتلا هذه الآية. وقال: ﴿التَّقَى الْمَاءُ﴾ والالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعداً؛ لأن الماء يكون جمعاً وواحداً^(١). وقيل: لأنهما لما اجتمعا صارا ماء واحداً. وقرأ الجحدري «فالتقى الماءان». وقرأ الحسن: «فالتقى الماوان» وهما خلاف المرسوم. القشيري: وفي بعض المصاحف «فالتقى الماوان» وهي لغة طيئة. وقيل: كان ماء السماء بارداً مثل الثلج وماء الأرض حاراً مثل الحميم. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ أي على سفينة ذات ألواح. ﴿وَدُسِّرَ﴾ قال قتادة: يعني المسامير التي دسرت بها السفينة أي شدت^(٢)؛ وقاله القرطبي وابن زيد وابن جبير ورواه الوالبي عن ابن عباس. وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة: هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لأنها تَدَسِّرُ الماء أي تدفعه، والدَسْرُ الدفع والمخر^(٣)؛ ورواه العوفي عن ابن عباس قال: الدَسْرُ كل كل السفينة.

وقال الليث: الدَسَارُ خيط من ليف تشد به ألواح السفينة^(٤). وفي الصحاح: الدَسَارُ واحد الدَسْرِ وهي خيوط تشد بها ألواح السفينة، ويقال: هي المسامير، وقال تعالى: ﴿عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾. تَدَسِّرُ أيضاً مثل عُسْرٍ وَعُسْرٌ. والدَسْرُ الدفع؛ قال ابن عباس في العنبر: إنما هو شيء يدسره البحر دسراً أي يدفعه^(٥). ودسره بالرمح. ورجل مدرس.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي برأى منا. وقيل: بأمرنا. وقيل: بحفظ منا وكلاءة، وقد مضى في «هود». ومنه قول الناس للمودع: عين الله عليك؛ أي حفظه وكلاءته. وقيل: بوحينا. وقيل: أي بالآعين النابعة من الأرض. وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها، وكل ما خلق الله تعالى يمكن أن يضاف إليه. وقيل: أي تجري بأوليائنا، كما في الخبر: مرض عين من عيوننا فلم تعد^(٦). ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾ أي جعلنا ذلك ثواباً وجزاء لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به؛ فاللام في ﴿لِمَن﴾ لام المفعول له؛ وقيل: ﴿كُفْرًا﴾ أي جحد؛ فـ «من» كناية عن نوح. وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب؛ أي عقاباً لكفرهم بالله تعالى. وقرأ يزيد بن رومان وقاتدة ومجاهد وحميد «جزاء لمن كان كَفَرًا» بفتح الكاف والفاء بمعنى: كان الفرق جزاءً وعقاباً لمن كفر بالله، وما نجا من الفرق غير عوج بن عنق؛ كان الماء إلى حجزته. وسبب نجاته: أن نوحاً احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له

(١) ضعيف جداً: الطبري (٢٧/ ٩٨) في تفسيره، وفيه موسى بن عبيدة الرندي: ضعيف جداً.

(٢) صحيح إلى قتادة: وفيه ضعف إلى القرطبي، وصحيح إلى ابن زيد: الطبري (٢٧/ ٩٨) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى الحسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٩).

(٤) ضعيف: السابق (٢٧/ ٩٩)، والكلكل: الصدر.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) هذا لا يصح: وإنما يصح: «مرضت ولم تعدني» كما هو في صحيح مسلم، وقد سبق.

ذلك، ونجاء من الغرق ^(١) : ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ يريد هذه الفعلة عبرة. وقيل: أراد السفينة تركها آية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل. قال قتادة: أبقاها الله بياقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية، حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدها فصارَت رمادا ^(٢) . ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ خائف، وأصله مذَكِرٌ مفتعل من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالا لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي الإنذار والنذير. قال الفراء: الإنذار والنذير مصدران. وقيل: ﴿وَنُذْرِي﴾ جمع نذير ونذير بمعنى الإنذار كنكير بمعنى الإنكار. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيأناه للذكر مأخوذ من يسر ناقته للسفر: إذا رحلها ويسر فرسه للغزو إذا أسرجه وأجمه؛ قال [الأعرج]:

وَقُمْتُ إِلَيْهِ بِاللَّجَامِ مُسَرًّا هُنَالِكَ يَجْزِينِي الَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ

وقال سعيد بن جبير: ليس من كُتِبَ الله كِتَابٌ يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن ^(٣)؛ وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظرا، غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين أحرقت؛ على ما تقدم بيانه في سورة «براءة» ^(٤)، فيسر الله تعالى على هذه الأمة حفظ كتابه ليذكروا ما فيه؛ أي يفتعلوا الذكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات والتركيب. فيهم. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ قارئ يقرؤه. وقال أبو بكر الوراق وابن شاذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرر في هذه السورة للتنبيه والإفهام. وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنباء الأمم وقصص المرسلين، وما عاملتهم به الأمم، وما كان من عقبي أمورهم وأمور المرسلين؛ فكان في كل قصة ونبا ذكر للمستمع أن لو اذكر، وإنما كرر هذه الآية عند ذكر كل قصة بقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ لأن ﴿هَلْ﴾ كلمة استفهام تستدعي أفهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم؛ فاللام من ﴿هَلْ﴾ للاستعراض والهاء للاستخراج.

(١) هذه فربة وكذبة أخرى درج بعض أهل التفسير على نقلها، ولك أن تتصور أن الإمام الطبري وصف (عوج بن عنق) أو (عناق) هذا بأنه كان (كافرا، متمردا، جبارا، عنيدا)، ويقولون: كان لغير رشدة (ابن الزنا) إلى غير هذه الأخبار التي جعلته رجلا طوله: ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلثا!! وأنه ظل حيا حتى عهد موسى عليه السلام!! وهي أخبار مخالفة لصريح القرآن، وصحيح السنة، ورحم الله ابن القيم إذ قال: «وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله، وإنما العجب من يدخل مثل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره» ثم قال: «ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسول وأتباعهم». المنار المنيف (ص ٣٠).

وحكم بوضع هذه القصة ابن كثير - رحمه الله - في البداية النهاية (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وصاحب التهذيب (٦/

١٧٩)، والذهبي في الميزان (٢/ ٦٤١).

(٢) مرسل صحيح: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٠٠).

(٣) ذكره الشوكاني (٧/ ٩٢) في فتح القدير، والبغوي من كلام سعيد في تفسيره (٧/ ٤٢٩).

(٤) عند الآية (٣٠).

﴿كَذَّبْتَ عَادَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿٥﴾
تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي ﴿٧﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبْتَ عَادَ﴾ هم قوم هود. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرِي﴾ وقعت ﴿نَذَرِي﴾ في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الباء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحاليين ^(١)، وورش في الوصل لا غير ^(٢)، وحذف الباقيون. ولا خلاف في حذف الباء من قوله: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] والواو من قوله: ﴿يَدْعُ﴾ فاما الباء من ﴿الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] الأولى فأثبتها في الحاليين ابن محيصة ويعقوب وحמיד والبزي ^(٣)، وأثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل ^(٤)، وحذف الباقيون. وأما ﴿الدَّاعِ﴾ الثانية فأثبتها يعقوب وابن محيصة وابن كثير في الحاليين ^(٥)، وأثبتها أبو عمرو ونافع في الوصل ^(٦)، وحذفها الباقيون ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي شديدة البرد؛ قاله قتادة والضحاك ^(٧). وقيل: شديدة الصوت. وقد مضى في «حم السجدة» ^(٨). ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ أي في يوم كان مشؤوما عليهم. وقال ابن عباس: أي في يوم كانوا يتشاءمون به ^(٩). الزجاج: قيل: في يوم أربعاء. ابن عباس: كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم ^(١٠). وقرأ هارون الأعور: «نَحْس» بكسر الحاء وقد مضى القول فيه في ﴿فِي أَيَّامِ نَحْسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]. و﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوه، واستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك. وقيل: استمر بهم إلى نار جهنم. وقال الضحاك: كان مرا عليهم ^(١١). وكذا حكى الكسائي أن قوما قالوا: هو من المראה؛ يقال: مر الشيء وأمر أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس. وقد قال: ﴿فَذُوقُوا﴾ والذي يذاق قد يكون مرا. وقد قيل: هو من المرة بمعنى القوة. أي في يوم نحس مستمر، مستحكم الشؤم كالشيء المحكم القتل الذي لا يطاق نقضه. فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر. وقد مضى في «البقرة» حديث جابر بذلك. فالجواب - والله أعلم - ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر» ^(١٢) ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين؛ كما

(١ - ٦) قراءات متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

(٧) صحيح إلى قتادة: وذكره أيضاً عن الضحاك: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره.

(٨) عند الآية (١٦).

(٩، ١٠) ضعيفان: وقد ذكرهما البغوي في تفسيره (٧/ ٤٣٠).

قلت: ولا يصح هذا من قريب أو بعيد.

(١١) منقطع: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره بسند فيه انقطاع بين الطبري وشيخه الحسين.

(١٢) ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً: ابن عدي في الكامل (١/ ٢٣٨)، وضعفه السيوطي في الدر (٦/ ١٨١)،

وقد ضعف هذا الحديث بكل رواياته ورواته، وانظر: لسان الميزان (٤/ ٣٩٩)، والمجروحين (١/ ١٠٤)،

ورواية المصنف مرسله فلا يعتد بها.

كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن: نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أول يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدير النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسا على الظالم؛ ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه لم ينزل بي أمر غليظ ^(١) إشارة إلى هذا. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح أي تقلعهم من مواضعهم. قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها. وقال مجاهد: كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتندق أعناقهم وتبين رؤوسهم عن أجسادهم ^(٢). وقيل: تنزع الناس من البيوت. وقال محمد بن كعب عن أبيه قال النبي ﷺ: «انتزع الريح الناس من قبورهم» ^(٣). وقيل: حفروا حفرا ودخلوها فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم، وتبقى تلك الحفرة كأنها أصول نخل قد هلك ما كان فيها فبقى مواضعها منقعة. يروى أن سبعة منهم حفروا وقاموا فيها ليردوا الريح. قال ابن إسحاق: لما هاجت الريح قام نفر سبعة من عاد سمي لنا منهم ستة من أشد عاد وأجسمها منهم: عمرو بن الحلى والحارث بن شداد، والهلقام، وابنا تقن، وخلجان بن سعد فأولجوا العيال في شعب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عن في الشعب من العيال، فجعلت الريح تجعفهم ^(٤) رجلا رجلا، فقالت امرأة من عاد:

ذهب الدهرُ بعمرو به	ن حلي والهنيات
ثم بالحارث والهذ	قام طلاع الثنيات
والذي سد مهب الر	يح أيام البليات ^(٥)

الطبري ^(٦): في الكلام حذف، والمعنى تنزع الناس فتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعة؛ فالكاف في موضع نصب بالمحذوف. الزجاج: الكاف في موضع نصب على الحال، والمعنى تنزع الناس مشبهين بأعجاز نخل. والتشبيه قيل: إنه للحفر التي كانوا فيها. والأعجاز جمع عَجْز وهو مؤخر الشيء، وكانت عاد موصوفين بطول القامة، فشبها بالنخل انكبت لوجوها. وقال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويؤنث. والمنقعر: المنقلع من أصله؛ فعرت الشجرة قعرا قلعتها من أصلها فانقعرت. الكسائي: قعرت البئر أي نزلت حتى انتهت إلى قعرها، وكذلك الإناء إذا شربت ما فيه حتى انتهت إلى قعره. وأقعرت البئر جعلت لها قعرا. وقال أبو بكر بن الأنباري: سئل المبرد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة هذه من جملتها، فقليل له: ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] و﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]،

(١) ضعيف: وقد سبق.

(٢) ضعيف للشك: الطبري (٢٧/ ١٠٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٦٠).

(٣) لم أجد إلا هنا.

(٤) تجعفهم: تصرعهم وتضرب بهم الأرض اللسان «جفف».

(٥) معضل: وفيه إسماعيل بن عياش، عن ابن إسحاق وروايته عن غير الشاميين ضعيفة، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٠٤)، ومن طريق آخر رواه عن ابن حميد وهو منهم.

(٦) كذا في تفسيره (٢٧/ ١٠٥).

وقوله: ﴿كَانَهُمْ أَعْجَازٌ يَلْعَلُونَ﴾ [الحاقة: ٧] و﴿أَعْجَازٌ نَخْلٌ مُنْقَرٍ﴾؟ فقال: كلما وردت عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا، أو إلى المعنى تأنثا. وقيل: إن النخل والنخيل بمعنى يذكر ويؤنث، كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١١) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ تقدم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٌ وَسُعْرٌ ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ هم قوم صالح كذبوا الرسل ونبههم، أو كذبوا بالآيات التي هي النذر ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ وندع جماعة. وقرأ أبو الأشهب وابن السميع وأبو السمال العدوي: «أبشر» بالرفع «واحد» كذلك رفع بالابتداء والخبر ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾. الباقون بالنصب على معنى أتبع بشرا منا واحد نتبعه. وقرأ أبو السمال: «أبشر» بالرفع «منا واحدا» بالنصب، رفع «أبشر» بإضمار فعل يدل عليه: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ﴾ كانه قال: أينما بشر منا، وقوله: ﴿وَاحِدًا﴾ يجوز أن يكون حالا من المضمر في ﴿مَنَا﴾ والناصب له الظرف، والتقدير أينما بشر كائن منا منفردا؛ ويجوز أن يكون حالا من الضمير في ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ منفردا لا ناصر له. ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٌ﴾ أي ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعْرٌ﴾ أي جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، أي كأنها من شدة نشاطها مجنونة، ذكره ابن عباس. قال الشاعر يصف ناقته:

تَخَالُ بِهَا سُعْرًا إِذَا السَّفَرُ هَزَّهَا ذَمِيلٌ وَإِيقَاعٌ مِنَ السَّيْرِ مُتَعِبٌ

الذَّمِيلُ: ضرب من سير الإبل. قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزديد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرسيم؛ يقال: ذَمَلٌ وَيَذْمُلُ وَيَذْمَلُ ذَمِيلًا. قال الأصمعي: ولا يذمل بعير يوما وليلة إلا مَهْرِي قاله. وقال ابن عباس أيضا: السعير العذاب (١)، وقاله الفراء. مجاهد: بعد الحق (٢). السدي: في احتراق (٣). قال [طرفة بن العبد]:

أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أَمْ شَأْنُكَ هِرٌّ وَمِنْ الْحَبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرٌّ

أي متقد ومحترق. أبو عبيدة: هو جمع سعير وهو لهيب النار. والبعير المجنون يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة. ومعنى الآية: إنا إذا لفي شقاء وعناء مما يلزمنا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ الْذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا؟! وهو استفهام معناه الإنكار. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ أي ليس كما يدعيه وإنما يريد أن يتعاطم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والاشتر: المرح والتجبر والنشاط. يقال: فرس أشير إذا كان مرحا نشيطا، قال امرؤ القيس يصف كلبا:

فِي دَرْكِنَا فَنَغْمٌ دَاجِنٌ سَمِيعٌ بِصِيرٍ طَلُوبٌ نَكِرٌ
أَلْسُ الضُّرُوسِ حَنِي الضُّلُوعِ تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشِيطٌ أَشِرٌ

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٤٣٠).

(٢) ذكره السيوطي (٦/ ١٨٢) في الدر وعزاه للطبري وعبد بن حميد.

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٠١).

وقيل: ﴿أَشْرَ﴾ بطر. والأشْر البطر؛ قال الشاعر:

أَشْرْتُمْ بِلَيْسَ الْخَزْ لَمَّا لَبِستُمْ وَمِنْ قَبْلُ مَا تَدْرُونَ مَنْ فَتَحَ الْقُرَى

وقد أشر بالكسر يَأْشُرُ أَشْرًا فهو أَشْرٌ وَأَشْرَانُ، وقوم أَشَارَى مثل سكران وسكاري؛ قال الشاعر:

وَحَلَّتْ وَغُولًا أَشَارَى بِهَا وَقَدْ أَزْهَفَ الطَّعْنُ أَبْطَالَهُ

وقيل: إنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها؛ والمعنى واحد. وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن

حماد: الأشر الذي لا يبالي ما قال (١). وقرأ أبو جعفر وأبو قلابة «الأشْر» بفتح الشين وتشديد

الراء يعني به أَشْرْنَا وَأَخْبَشْنَا. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ أي سيرون العذاب يوم القيامة، أو في حال نزول

العذاب بهم في الدنيا. وقرأ ابن عامر وحزمة بالتاء على أنه من قول صالح لهم على الخطاب (٢).

الباقون بالياء إخبار من الله تعالى لصالح عنهم. وقوله: ﴿غَدًا﴾ على التقريب على عادة الناس في

قولهم للعواقب: إن مع اليوم غدا؛ قال الخطيب:

لِلْمَوْتِ فِيهَا سِهَامٌ غَيْرُ مُخْطِئَةٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَيِّتًا فِي الْيَوْمِ مَاتَ غَدًا

وقال الطرماح:

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَسُوحِ النَّوَاحِ وَقَبْلَ اضْطِرَابِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وقبل غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ

وإنما أراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه. ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشْرُ﴾ وقرأ أبو قلابة: «الأشْر» بفتح

الشين وتشديد الراء جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشْر والأخير إلا في

ضرورة الشعر؛ كقول رؤبة:

بِلَالٍ خَيْرُ النَّاسِ وَإِنْ الْأَخِيرُ

وإنما يقولون: هو خير قومه، وهو شر الناس؛ قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

[آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ [مريم: ٧٥]. وعن أبي حنيفة بفتح الشين

وتخفيف الراء. وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة ضم الشين والراء والتخفيف، قال النحاس: وهو معنى

﴿الأشْر﴾ ومثله رجل حَذَرٍ وحَذَرٌ.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ﴾ وَبَنَيْتُمْ أَنْ الْمَاءِ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ

مُخْتَصَرٌ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهَا صَيْحَةً

وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ أي مخرجوها من الهضبة التي سألوها، فروي أن صالحا صلى

ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينيها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء وبراء ﴿فِتْنَةً لَهُمْ﴾ أي

اختبارا وهو مفعول له. ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ أي انتظر ما يصنعون. ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ أي اصبر على أذاهم، وأصل

(١) صحيح إلى ابن أبي حماد: الطبري (٢٧/ ١٠٦) في تفسيره، وهو إسناد عال.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

الطاء في اصطبر تاء فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الإطباق. ﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ أي أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين آل ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما قال تعالى: ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا. وإنما قال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم. وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك، قال: «أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث الله لهم ناقة، فبعث الله عز وجل إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فشرب ماءهم يوم وردها، ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غيها» (١)، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ الشرب - بالكسر - الحظ من الماء؛ وفي المثل: «آخرها أقلها شربا» وأصله في سقي الإبل، لأن آخرها يرد وقد نَزَفَ الحوض. ومعنى: ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ أي يحضره من هو له؛ فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم؛ قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غيها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون (٢). قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني بالحض على عقرها ﴿فَتَعَاطَى فَقَعْرٌ﴾ ومعنى تعاطى تناول الفعل؛ من قولهم: عَطَوْتُ أَي تناولت؛ ومنه قول حسان:

كَلَنَاهُمَا حَلَبُ الْعَصِيرِ فَعَاطَنِي بِزَجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمِفْصَلِ

قال محمد بن إسحاق: فكمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها، فخرت ورغت رُغَاءَةً واحدة، تَحَدَّرَ سَقُّهَا من بطنها ثم نحرها، وانطلق سقبها حتى أتى صخرة في رأس جبل فرغا ثم لاذ بها، فاتأهم صالح عليه السلام؛ فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال: قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله. وقد مضى في «الأعراف» بيان هذا المعنى (٣). قال ابن عباس: وكان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف ألقى (٤). ويقال في اسمه: قُدَار بن سالف. وقال الأوفى الأودي:

أَوْ قَبْلَهُ كَقُدَارٍ حِينَ تَابَعَهُ عَلَى الْغَوَايَةِ أَقْوَامٌ فَقَدْ بَادُوا

والعرب تسمي الجزار قدارا تشبها بقدار بن سالف مشؤوم آل ثمود؛ قال مهلهل:

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ

وذكره زهير فقال:

فَتَنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمِ

يريد الحرب؛ فكنى عن ثمود بعاد.

(١) صحيح: أحمد في المسند (٣/ ٢٩٦)، والحاكم (٣٢٤٨) في المستدرک، وعزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٤).

لأحمد، والطبراني والبيزار، وقال: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) وصحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/ ١٠٧) في تفسيره.

(٣) عند الآية (٧٧).

(٤) سبق تخريجه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يريد صيحة جبريل عليه السلام، وقد مضى في «هود» (١). ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: «الْمُحْتَظِرِ» بفتح الظاء أرادوا الحظيرة. الباقون بالكسر أرادوا صاحب الحظيرة. وفي الصحاح: والمحتظر الذي يعمل الحظيرة. وقرأ ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ فمن كسره جعله الفاعل ومن فتحه جعله المفعول به. ويقال للرجل القليل الخير: إنه لنكد الحظيرة. قال أبو عبيد: أراه سمي أمواله حظيرة لأنه حطرها عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. المهدوي: من فتح الظاء من «الْمُحْتَظِرِ» فهو مصدر، والمعنى كهشيم الاحتظار. ويجوز أن يكون «الْمُحْتَظِرِ» هو الشجر المتخذ منه الحظيرة. قال ابن عباس: «الْمُحْتَظِرِ» هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك؛ فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم (٢). قال:

أَثَرُنْ عَجَاجَةً كَدَخَانِ نَارٍ تَشَبَّ بِغَرْقَدٍ بِالْهَشِيمِ

وعنه: كحشيش تأكله الغنم (٣). وعنه أيضا: كالعظام النخرة المحترقة (٤)، وهو قول قتادة (٥). وقال سعيد بن جبیر: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح (٦). وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا (٧)، وهو فعيل بمعنى مفعول. وقال ابن زيد: العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيس هشيمًا (٨). والحظر المنع، والمحتظر المفتعل يقال منه: احتظر على إبله وحظر أي جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع عن إبله؛ قال الشاعر:

تَرَى حَيْفَ الْمَطِيِّ بِجَانِبِهِ كَأَنَّ عِظَامَهَا خَشَبُ الْهَشِيمِ

وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم؛ فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فئات السنبلة والتبن. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

﴿كَذَّبْتَ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِمْ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبْتَ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ أخبر عن قوم لوط أيضا لما كذبوا لوطا. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى؛ قال النضر: الحاصب: الحصباء في الريح. وقال

(١) عند الآية (٦٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي (٥/ ٤٥٤) في زاد المسير.

(٣) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٠٨) في تفسيره.

(٤) ضعيف: فيه قابوس عن أبيه، وفيه لين كما عند الطبري (٢٧/ ١٠٨) في تفسيره.

(٥) صحيح إلى قتادة: السابق (٢٧/ ١٠٨).

(٦) حسن: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره.

(٧) ضعيف: فيه ابن حميد وهو متهم الطبري (٢٧/ ١٠٩) في تفسيره.

(٨) صحيح إليه: السابق (٢٧/ ١٠٩).

أبو عبيدة: الحاصب الحجارة. وفي الصحاح: والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وكذلك الحصباء؛ قال لبيد:

جَرَتْ عَلَيْهَا أَنْ خَوَتْ مِنْ أَمَلِهَا أَذْيَالُهَا كُلُّ عَصُوفٍ حَصْبَةٍ

عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف. وقال الفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالِ الشَّامِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقُطْنِ مَثُورِ

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يعني من تبعه على دينه ولم يكن إلا بنتاه ﴿نَجِيَّاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ قال الأخفش: إنما أجراه لأنه نكرة، ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجراه، ونظيره ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] لما نكره، فلما عرفه في قوله: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٩٩] لم يجره، وكذا قال الزجاج: ﴿سَحَرٍ﴾ إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يصرف، تقول: أتيت سحرا، فإذا أردت سحر يومك لم تصرفه، تقول: أتيت سحر يا هذا، وأتيت بسحر. والسحر: هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أول النهار؛ لأن في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار. ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ إنعاما منا على لوط وإبنتيه؛ فهو نصب لأنه مفعول به. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي من آمن بالله وأطاعه. ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ يعني لوطا خوفهم ﴿بَطْشَتَا﴾ عقوبتنا وأخذنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي شكوا فيما أنذرهم به الرسول ولم يصدقوه، وهو تفاعل من المربة. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أي أرادوا منه تمكينهم ممن كان آتاه من الملائكة في هيئة الأضياف طلبا للفاحشة على ما تقدم. يقال: راودته على كذا مراودة وروادا أي أردته. وراد الكلأ يروده رَوْدًا وريادا، وارتاده ارتيادا بمعنى أي طلبه؛ وفي الحديث: «إذا بال أحدكم فليرتد لبوله» ^(١) أي يطلب مكانا ليئا أو منحدرًا. ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يروى أن جبريل عليه السلام ضربهم بجناحه فعموا. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق، كما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: لا، بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم. قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل؛ فقالوا: لقد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا؟ فرجعوا ولم يروهم ^(٢). ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي قلنا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمر الخبر؛ أي فاذقتهم عذابي الذي أنذرهم به لوط. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي دائم عام استقر فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة. وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل أعلاها أسفلها. و﴿بُكْرَةً﴾ هنا نكرة فلذلك صرفت. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غير العذاب الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ تقدم.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذُرُ﴾ يعني القبط و﴿النُّذُرُ﴾ موسى وهارون. وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ معجزاتنا الدالة على توحيدنا ونبوة أنبيائنا؛ وهي العصا،

(١) ضعيف: أبو داود في الطهارة (٣)، وضعفه الألباني، عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه.

(٢) مرسل: وفيه انقطاع بين الطبري وشيخه الحسين، وانظر: تفسيره (٢٧/ ١١١).

واليد، والسنون، والطمسة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. وقيل: ﴿النُّذُرُ﴾ الرسل؛ فقد جاءهم يوسف وبنوه إلى أن جاءهم موسى. وقيل: ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار. ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ﴾ أي غالب في انتقامه ﴿مُقْتَدِرٌ﴾ أي قادر على ما أراد.

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾

قوله تعالى: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ﴾ خاطب العرب. وقيل: أراد كفار أمة محمد ﷺ. وقيل: استفهام، وهو استفهام إنكار ومعناه النفي؛ أي ليس كفاركم خيرا من كفار من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم. ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة. وقال ابن عباس: أم لكم في اللوح المحفوظ براءة من العذاب (١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ أي جماعة لا تطاق لكثرة عددهم وقوتهم، ولم يقل: منتصرين اتباعا لرؤوس الآي؛ فرد الله عليهم فقال: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ﴾ أي جمع كفار مكة، وقد كان ذلك يوم بدر وغيره. وقراءة العامة ﴿سَيَهْزِمُ﴾ بالياء على ما لم يسم فاعله ﴿الْجَمْعُ﴾ بالرفع. وقرأ رويس عن يعقوب «سنهزم» بالنون وكسر الزاي «الْجَمْعُ» نصبا (٢). ﴿وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾ قراءة العامة بالياء على الخبر عنهم. وقرأ عيسى وابن إسحاق ورويس عن يعقوب «وتولون» بالتاء على الخطاب. و﴿الدُّبُرُ﴾ اسم جنس كالدرهم والدينار فوحد والمراد الجمع لأجل رؤوس الآي. وقال مقاتل: ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف؛ وقال: نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾. وقال سعيد بن جبير: قال سعد بن أبي وقاص: لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾ كنت لا أدري أي الجمع ينهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول: «اللهم إن قريشا جاءتك تحادك وتحاد رسولك بفخرها وخيلانها فأخنهم الغداة» ثم قال: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّقُونَ الدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها (٣). وهذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر. أخنى عليه الدهر: أي أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة:

أَخْنَى عَلَيْهِ الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ

وأخنت عليه: أفسدت. قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين؛ فالآية على هذا مكية. وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ﴾ (٤). وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا» فأخذ

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤٥٨/٥).

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

(٣) معضل: زاد المسير لابن الجوزي (٤٥٨/٥).

(٤) صحيح: البخاري (٤٨٧٦) في التفسير.

أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسيك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك؛ وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَهْزَمَ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ (٤٥) بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ ^(١) يريد القيامة. ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ أي أذهى وأمر مما لحقهم يوم بدر. و﴿أَذْهَى﴾ من الداهية وهي الأمر العظيم؛ يقال: دهاه أمر كذا أي أصابه دهاوا ودهيا. وقال ابن السكيت: دَهَتْهُ دَاهِيَةٌ دَهْوًا وَدَهْيًا وهي توكيد لها.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ (٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٩)﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ أي في حيدة عن الحق و﴿سُعْرٍ﴾ أي احتراق. وقيل: جنون على ما تقدم في هذه السورة. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ خرجه الترمذي أيضا وقال: حديث حسن صحيح ^(٢). وروى مسلم عن طاوس قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله يقولون: كل شيء بقدر ^(٣). قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال النبي ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس - أو الكيس والعجز» ^(٤) وهذا إبطال لمذهب القدرية. ﴿ذُوقُوا﴾ أي يقال لهم: ذوقوا، ومساها: ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها. و﴿سَقَرَ﴾ اسم من أسماء جهنم لا ينصرف؛ لأنه اسم مؤنث معرفة، وكذا لظى وجهنم. وقال عطاء: ﴿سَقَرَ﴾ الطبق السادس من جهنم. وقال قطرب: ﴿سَقَرَ﴾ من سقرته الشمس وصقرته لوحته. ويوم مسمقر ومصمقر: شديد الحر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ قراءة العامة ﴿كُلٌّ﴾ بالنصب. وقرأ أبو السمال «كل» بالرفع على الابتداء. ومن نصب فياضمار فعل وهو اختيار الكوفيين؛ لأن «إن» تطلب الفعل فهي به أولى، والنصب أدل على العموم في المخلوقات لله تعالى؛ لأنك لو حذفته ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ المفسر وأظهرت الأول لصار إنا خلقنا كل شيء بقدر. ولا يصح كون خلقناه صفة لشيء؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبله.

الثالثة: الذي عليه أهل السنة: أن الله سبحانه قدر الأشياء؛ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجد على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره؛ كما نص عليه القرآن

(١) صحيح: البخاري (٢٩١٥) في الجهاد

(٢) صحيح: مسلم (٢٦٥٦) في القدر، والترمذي (٢١٥٧) في القدر.

(٣، ٤) صحيح: مسلم (٢٦٥٥) في القدر.

الكيس: ضد العجز. وهو النشاط والخذق بالأمور. شرح النووي على مسلم (٨/ ٤٢١).

والسنة، لا كما قالت القدرية وغيرهم: من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا. قال أبو ذر رضي الله عنه: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا؛ فنزلت هذه الآيات إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا؟ فقال: «أنتم خصماء الله يوم القيامة» (١).

الرابعة: روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم». خرج ابن ماجه في سننه (٢). وخرج أيضا عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب: أهل الإرجاء والقدر» (٣). وأسند النحاس: وحدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال: حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال: حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن مسيرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية الذين يقولون: الخير والشر بأيدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم مني» (٤) وفي «صحيح مسلم» أن ابن عمر تبرأ منهم ولا يتبرأ إلا من كافر (٥)، ثم أكد هذا بقوله: والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (٦). وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤] وهذا واضح. وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» (٧).

﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ۖ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكُورٍ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۚ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ۚ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۚ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً﴾ أي إلا مرة واحدة ﴿كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. والمصحح بالنظر بالعجلة؛ يقال: لمح البرق ببصره. وفي الصحاح: لمح وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم للمحة، ولمح البرق والنجم لمحا أي لمع. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ﴾ أي أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية. وقيل: أتباعكم وأعاونكم ﴿فَهَلْ مِنْ مَذْكُورٍ﴾ أي من يتذكر. قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير أو شر كان

(١) مرسل ضعيف: الواحدى في أسباب النزول (ص ٣٤١)، وفيه بحر السقاء ضعيف، وشيخه مبهم.

(٢) حسن: لكن دون جملة (التسليم) ابن ماجه (٩٢) في المقدمة وحسنه الألباني هناك.

(٣) ضعيف: ابن ماجه (٧٣) في المقدمة، وضعفه الألباني.

(٤) ضعيف جداً: الدليمي في مسند الفردوس (٤٧٠٦)، وضعفه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٨٨).

(٥، ٦) صحيح: مسلم (٨/ ١) في الإيمان.

(٧) راه: الدليمي في مسند الفردوس (١/ ١١٣)، وانظر: الجامع الكبير للسيوطي (١/ ٨٥٣)، وابن الجوزي في

العلل المتناهية (١/ ١٥٠)، والألباني في الضعيفة (٨٠٤)، وعلته السري بن عاصم: وضاع، وكان يسرق

الحديث كما قال ابن عدي.

مكتوباً عليهم؛ وهذا بيان قوله: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظ. وقيل: في أم الكتاب. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازى به، ومكتوب إذا فعله؛ سَطَرٌ يَسْطُرُ سَطْرًا كَتَبَ؛ واستَطَرَّ مثله. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ لما وصف الكفار وصف المؤمنين أيضاً. ﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن؛ قاله ابن جريج. ووحد لأنه رأس الآية، ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع. وقيل: في ﴿نَهَرٍ﴾ في ضياء وسعة؛ ومنه النهار لضياؤه، ومنه أنه نهر الجرح؛ قال الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفَيَّ فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

وقرأ أبو مجلز وأبو نهيك والأعرج وطلحة بن مصرف وقتادة: «نَهَرٍ» بضمين كأنه جمع نهار لا ليل لهم؛ كسحاب وسحب. قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

إِنْ تَكُ لَيْلِيَا فَإِنِّي نَهَرٌ مَتَى أَرَى الصُّبْحَ فَلَا أَنْتَظِرُ

أي صاحب النهار. وقال آخر:

لَوْلَا التَّرِيدَانِ هَلَكْنَا بِالضُّمْرِ تَرِيدُ لَيْلٍ وَتَرِيدُ النَّهَرُ

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي يقدر على ما يشاء. و﴿عِنْدَ﴾ ها هنا عندية القرية والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة. قال الصادق: مدح الله المكان الصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. وقرأ عثمان البتي «فِي مَقَاعِدِ صِدْقٍ» بالجمع؛ والمقاعد مواضع قعود الناس في الأسواق وغيرها. قال عبد الله بن بريدة: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى، فيقرؤون القرآن على ربهم تبارك وتعالى، وقد جلس كل إنسان مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة بقدر أعمالهم، فلا تقرأ أعينهم بشيء قط كما تقرأ بذلك، ولم يسمعوا شيئاً أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم، قريبة أعينهم إلى مثلها من الغد^(١). وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا؛ فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة؛ فيقول المؤمنون: إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا، فيقولون: فما بغيتكم؟ فيقولون: مقعد صدق عند ملك مقتدر^(٢). وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى؛ ففي الخبر: أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل تزفها الملائكة إلى الجنة والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا؛ فيقولون: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٣)، والله أعلم.

تم تفسير سورة «القمر» والحمد لله.

(١) ضعيف: عزاء السيوطي في الدر (١٨٨/٦) للحكيم الترمذي موقوفاً على ابن بريدة.

(٢) ضعيف: مرسل، وهو خبر يحتاج إلى توقيف، وانظر: السابق (١٨٨/٦) وعزاء للحكيم الترمذي هناك.

(٣) هذا مروى عن أبي يزيد البسطامي وانظر: السابق (١٨٨/٦).